



خطبة صلاة الجمعة 17 / 5 / 2019 للشيخ الطيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

### (خشوع الصلاة، فضله وحكمه)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشد به، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليفه، خير نبيِّ اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أما بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: 16]، قال ابن مسعود رضي الله عنه: "ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين"، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: "إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن"، وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا تلا الآية ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ قال: «بلى يا رب، بلى يا رب».

#### أيها الإخوة:

مر بنا في الخطبة الماضية تعريف الخشوع، ومحله، والأمور الأربعة التي تورث الخشوع.

أما تعريف الخشوع فهو الاتضاع لنظر الحق إليك، والرضا بالحكمين الشرعي والقدري.

وأما محل الخشوع فهو القلب كما أجمع العارفون لكن ثمرته تظهر على الجوارح.

وأما الأمور الأربعة التي تورث الخشوع:

فالإكثار من ذكر الله مع استحضار جلاله وعظمته، وتذكر آفات النفس والعمل، ورؤية فضل كل

ذي فضل عليك، واللاحاق بمجالس العلم.

والخشوع أيها الإخوة حالة عامة في السالك إلى الله، في بيعه وشرائه، وأخذه وعطائه، وعسره ويسره، وبيته وسوقه ومسجده، فهو في كل ذلك يتواضع لنظر الحق إليه ويرضى بحكم الله الشرعي وحكمه القدري.

غير أن الناس أكثر ما يسألون عن خشوع الصلاة وعن حكمه وطريقة تحصيله، وتتحدث خطبة اليوم عن فضل الخشوع وحكمه لتتحدث خطبة الأسبوع القادم بإذن الله عن طريقة تحصيله.

### عنوان خطبة اليوم: خشوع الصلاة، فضله وحكمه

قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: 14]، وقال سبحانه: ﴿لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: 43]، قيل: المراد به السكر المعروف، وقيل سكارى من كثرة الهم، وقيل من حب الدنيا، والعلة في الجميع عدم الوعي لما يقول في الصلاة وما يقال له.

وكان إبراهيم الخليل إذا قام إلى الصلاة يسمع وجيب قلبه، وكان لصدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أزيز كأزيز المرجل إذا صلى.

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه، فقيل له: مالك يا أمير المؤمنين! فيقول: جاء وقت أمانة عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها.

وروا عن علي بن الحسين أنه كان إذا توضأ اصفر لونه، فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء؟! فيقول أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم!.

ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال داود عليه السلام في مناجاته: (إلهي من يسكن بيتك ومن تتقبل الصلاة؟! فأوحى الله إليه يا داود! إنما يسكن بيتي وأقبل الصلاة منه من تواضع لعظمي، وقطع نهاره بذكرى، وكف نفسه عن الشهوات من أجلي، يطعم الجائع، ويؤوى الغريب، ويرحم المصاب، فذلك الذي يضيء نوره في السماوات كالشمس، إن دعاني لبيته، وإن سألتني أعطيتني، أجعل له في الجهل حلماً، وفي الغفلة ذكراً، وفي الظلمة نوراً، وإنما مثله في الناس كالفردوس في أعلى الجنان لا نبس أنهارها ولا تتغير ثمارها).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ركعتان مقتصدتان في تفكير خير من قيام ليلة والقلب ساه.

وكان الربيع بن خيثم يقول: ما دخلت في صلاة قط فأهمني فيها إلا ما أقول وما يقال لي.

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: من فقه الرجل أن يبدأ بحاجته قبل دخوله في الصلاة ليدخل في الصلاة وقلبه فارغ.

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال على المنبر: إن الرجل ليشيب عارضاه في الإسلام وما أكمل لله تعالى صلاة، قيل وكيف ذلك؟! قال: لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله عز وجل فيها.

أما فضل الخشوع في الصلاة: فحسبكم أن القرآن الكريم جعل أول صفات المفلحين المؤمنين خشوع الصلاة فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (I) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: 1، 2]، ثم جاءت الأحاديث الكثيرة المتحدثة عن خشوع الصلاة ومنها:

ما أخرج الإمام مسلم عن عمرو بن عبس السلمي في حديث طويل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فإن هو قام فصلى فحمد الله وأثنى عليه ومجده بالذي هو أهله وفرغ قلبه لله انصرف من خطيئته كيوم ولدته أمه».

وأخرج أبو داود وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خمس صلوات افترضهن الله تعالى، من أحسن وضوءهن وصلأهن لوقتهن وأتم ركوعهن وسجودهن وخشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له، ومن لم يفعل فليس له على الله عهد إن شاء غفر له وإن شاء عذبه».

وأخرج البخاري ومسلم بسندهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من توضأ نحو وضوئي هذا، ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه، غفر له ما تقدم من ذنبه».

وأخرج البخاري ومسلم بسندهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من أمريء مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يأتي كبيرة وذلك الدهر كله».

وأخرج ابن ماجه عن أبي أيوب قال: «جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله! علمني وأوجز قال: «إذا قمت في صلاتك، فصل صلاة مودع». أي مودع لنفسه مودع لهواه مودع لعمره سائر إلى مولاه.

وأخرج الإمام أحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الْعَبْدَ لِيُصَلِّيَ الصَّلَاةَ مَا يُكْتَبُ لَهُ مِنْهَا إِلَّا عَشْرُهَا تُسْعُهَا ثَمَنُهَا سُبْعُهَا سُدُسُهَا خُمْسُهَا رُبْعُهَا ثُلُثُهَا نِصْفُهَا». وكانوا يقولون: إنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها.

هذا شيء من فضل الخشوع في الصلاة في القرآن والسنة.

**أما حكم خشوع الصلاة وهل تجزئ صلاة لا خشوع فيها أم تجب إعادتها:**

فقد اتفق الفقهاء على أنه إن غلب على الصلاة الخشوع وتعقلها اعتد بها، وكانت السنن والأذكار عقبها جواير ومكملاتٍ لنقصها، وإن غلب عليه عدم الخشوع فيها وعدم تعقلها فقد اختلف الفقهاء في وجوب إعادتها على قولين:

**القول الأول:** وجوب إعادتها، فقد أوجب الإعادة أبو عبد الله بن حامد من أصحاب أحمد وأبو حامد الغزالي في إحيائه لا في وسيطه وبسيطه.

واحتجوا بأنها صلاة لا يثاب عليها، ولم يضمن له فيها الفلاح فلم تبرأ ذمته منها. قالوا: لأن الخشوع والعقل: روح الصلاة ومقصودها ولبها، فكيف يعتد بصلاة فقدت روحها ولبها وبقيت صورتها وظاهرها؟.

قالوا: ولو ترك العبد واجباً من واجباتها عمداً لأبطلها تركه، فكيف إذا غُدمت روحها ولبها ومقصودها، والله طيب لا يقبل إلا طيباً وليس من العمل الطيب: صلاة لا روح فيها. قالوا: وفي الترمذي وغيره مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم: **«إن الله لا يستجيب الدعاء من قلب غافل»** فحري ألا تقبل صلاة غافل صاحبها فيها.

قالوا: قد قال الله تعالى ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ وليس السهو عنها تركها وإلا لم يكونوا مصليين، وإنما هو السهو عن واجبتها: إما عن الوقت وإما عن الحضور والخشوع. هذا ما احتجت به هذه الطائفة وهي حجج كما تراها قوة وظهوراً.

**القول الثاني:** لا يجب إعادتها، واستدل أصحاب هذا القول بما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **«إذا أذن المؤذن أدبر الشيطان حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضى التأذين أقبل فإذا ثوب بالصلاة أدبر، فإذا قضى الثوب أقبل؛ حتى يخطر بين المرء وبين نفسه فيذكره ما لم يكن يذكر يقول: اذكر كذا اذكر كذا لما لم يكن يذكر، حتى يضل الرجل لا يدري كم صلى، فإذا وجد ذلك أحدكم فليسجد سجدين وهو جالس»** [البخاري].

قالوا: فأمره النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الصلاة التي قد أغفله الشيطان فيها حتى لم يدركم صلى: بأن يسجد سجدي السهو ولم يأمره بإعادتها ولو كانت باطلة كما زعمتم لأمره بإعادتها.

قالوا: ولأن شرائع الإسلام على الأفعال الظاهرة، وأما حقائق الإيمان الباطنة: فتلك عليها الثواب والعقاب، فله تعالى حكمان: حكم في الدنيا على الشرائع الظاهرة وأعمال الجوارح، وحكم في الآخرة على الظواهر والبواطن.

قالوا: فنحن في حكم شرائع الإسلام نحكم بصحة صلاة المنافق والمرائي، مع أنه لا يسقط عنه العقاب ولا يحصل له الثواب في الآخرة، فصلاة المسلم الغافل المبتلى بالوسواس وغفلة القلب أولى بالصحة.

نعم: لا يحصل مقصود هذه الصلاة من ثواب الله، بل يفوته ذلك بفوات الحضور والخشوع، وإن الرجلين ليكون مقامهما في الصف واحداً وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض، والله أعلم. ومهما يكن من أمر فإن الفقهاء جميعاً متفقون على فضيلة الخشوع ومذمة فقدته.

### أيها الإخوة:

هذا حديث عن فضل خشوع الصلاة وحكمه، وتخبركم خطبة الأسبوع القادم بإذن الله عن كيف تخشع في صلاتك. وحسبي الآن أن أختتم بما روي عن حاتم الأصم حين سئل عن صلاته، فقال: (إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء، وأتيت الموضع الذي أريد الصلاة فيه فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحي، ثم أقوم إلى صلاتي وأجعل الكعبة بين حاجبي، والصراط تحت قدمي، والجنة عن يميني، والنار عن شمالي، وملك الموت ورائي أظنها آخر صلاتي، ثم أقوم بين الرجاء والخوف، وأكبر تكبيراً بتحقيق، وأقرأ قراءة بترتيل، وأركع ركوعاً بتواضع، وأسجد سجوداً بتخشع، وأقعد على الورك الأيسر، وأفرش ظهر قدميها وأنصب القدم اليمنى على الإبهام وأتبعها بالإخلاص ثم لا أدري أقبلت مني أم لا).

اللَّهُمَّ آتِ نَفُوسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنَّا أَعُوذُ بِكَ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمَنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمَنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمَنْ دَعْوَةٍ لَا تُسْتَجَابُ.

والحمد لله رب العالمين